



القول ؛ فتقوى تارة ، وترك تارة أخرى ، وتسمو حيناً حتى تبلغ الذروة من البيان .

ولقد عبّر الشعراء في خلال تلك الأجيال عن ممان يكاد يُحسّطها العد ، وعن أغراض تجلّ عن الحصر .

وتناولوا المعنوي والحسي ، والفلسفي والديني ، والعميق والضحاح ؛ حتى التافه وما قد يدور في أخلاذ الأطفال - تناولوا كل ذلك فنسجوه على هذا المنسج العتيق .

نظرنا في كل هذا وأمسنا فيه ، فلم نلح في شيء منه عجمة ، ولم ننكر فيه رطانة .

حتى نجأنا (الشعر الجديد) منذ نحو ثلث قرن - كما أشرت في كلتي الأولى - فإذا نحن - إذ نقرؤه - ننكر من أنفسنا ما قد عهدناه فيها من نفاذ في الفهم ومضاء في المعاني ؛ وإذا نحن نحار فيما قرأنا : أعربى هذا أم أعجمي ؛ أم قد ارتقى هؤلاء الشعراء حتى بلغوا مستوى تخلفنا نحن وراءه ؛ لمكان تماقهم ، وسعة أقدحهم ، وجديد تربيتهم .

ثم نمرض أسماءهم - وهي كثيرة - فلا نرى بينها اسماً باهراً ، أو اسماً نايهاً ، أو اسماً ذا تاريخ .

ولكنهم كلهم - أو جلهم - أحداث أو أشباه أحداث ، أحقق بهم شذمة من المصنفين ، والمجيين المجدوعين ، عملوا على نشر منظوماتهم وإذاعتها . نخلت أفئدة الأغرار بيريقها . وراح طلبة المدارس ومن إليهم يقلدون هذه القفاقيع - وما أيسر ما تقلدوا ووجدواهم أيضاً منفذاً إلى الصحافة ، فنفذوا وطن كل أنه شاعر ، وأنه يشار إليه بالبنان !

أماي الآن مجلة فيها منظومة من ذلك الطراز ، عنوانها (زفرة في التيه) إنه لعنوان خداع ، يسترعي الانتباه ، ويحفز على الاطلاع^(١)

قرأتها أول مرة ، وأنا أبحث عن (الزفرة) وعن (التيه) ، وكيف كانت تلك الزفرة ؟ وما مبعتها ؟ أو - على الإجمال - قرأتها وأنا مشوق إلى القصة كلها . فهنا موضوع طريف في شعر جديد !

لم أحل من التلاوة الأولى بطائل^(٢) . فأعدتها ثم أعدتها ، فأنجلى الشير عن اضطراب عام

(١) وهكذا معظم عناواناتهم (٢) حلّ وكرضى منه بكذا : أساب منه كذا

٤ - الشعر الجبرير

زرت ليلة مجلس النواب في عهد سعد العظيم . فقام نائب فخطب وأطال . فلما فرغ قام سعد - رحمه الله - فقال ما معناه : « إني أعدت نفسي متوسط الذكاء ، وأزعم أنني قادر على فهم ما يدور في هذا المجلس من كلام . ولكنني أؤكد لكم أنني أخفقت في تتبع ما قاله حضرة النائب المحترم » .

فوقفنا نجاه (الشعر الجديد) قد يشبه من بعض الوجوه موقف سعد تجاه هذا الخطيب .

فنحن أيضاً نزع أننا وسقط في الذكاء ، ونزعم أننا نذوق الشعر ، وأنها تميز غشّه من سمينه ، وخبيثه من طيبه ، وأنها قرأناه في جميع عصوره ، فوجدناه كله - بما لنا من سليقة تكوّن على الزمن - تسجاً حيكاً على منوال واحد ، هو منوال العربية وحدها . وإنما تختلف الأساليب ، وتعمد منهاج

طريقة من الشعر المرسل لا يستقيم ميزانها ولا يجمل في السمع وقها لكان لها شأن أي شأن ، فهما في القمة من الفن المسرحي موضوعاً وحركة وتوزيعاً ، وروحه فهما هي هذه الروح التي أملت تلك القصة العجيبة الجيدة ، سلامة النفس ، التي تمتاز بقوة تماسكها وجمال موضوعها وتناسق عاطفتها ، ومسحتها الشعرية الفاصرة ... وإن كنت لا أوافق الأستاذ على نهايتها على هذا النحو الصوفي ... وقد ذكرت كلمة من قال : أين هذا الموسيقى الذي لم يكمل لحنه ، عند ما فرغت من قراءتها ؛ فالقصة لم تنته بعد ، لأن الماشقين لا يزالون حيين يرزقان ، ولعل الصديق العزيز يضع لنا الجزء الثاني منها بأن يخلق لنا من عنده ما كان من أمر سلامة في قصر يزيد ، وما كان من أمر عبد الرحمن في مكة ، وسواء انتهى أمرها إلى مأساة أو غيرها ، فالذي نطلبه هو ألا يدعنا لا كتاب على هذا النحو من التشوف والألم الذي لم يقر بنا إلى قراء

ووسيتي أن يقرأ الأستاذ باب الاعتكاف في كتب الفقه ، وأن يتقبل تهنئات الأدب المصري الحديث وشكر قرائه المجهين مربي

ففي أوائل النظم كلام يشبه الشكوى . ثم تَقَلَّسُفَ معقد لا غاية له ، ثم أبيات لم أنبين لها معنى ، وأبيات قد تفهم على نحو ما ، ثم تأوهات صاخبة ، ثم سخط وضجر ، ثم معان أخرى متغايرة ، متداخلة أو متنافرة

حاولت أن أربط في ذهني هذه العناصر ، لأكون وحدة الموضوع - على حد تعبيرهم الآن - فبهدت على غير جداء دع عنك التعمُّر والتشدُّق ؟ في المنظومة منه كثير . وهناك ما شئت من ترقيم ، وما شئت من علامات ، وما شئت من ضبط بالشكل .

أما الزفرة في التيه فقد تاهت !

هذا وصف يجعل المنظومة التي بين يدي . وهو وصف غير شاف كما ترى ؛ دفعني إليه أني أتوخى ألا يتم حديثي هذا على الأشخاص ، كما وعدت من قبل . ولكنه وصف يكشف عن الطابع العام للشعر الجديد . ولدينا من هذا الكشف مزيد فيما يلي من حديثنا ، إن شاء الله . (١ ع)

هل الموت مشكلة ؟

من دأب الإنسان أن يتمرد على الوجود وخالفه ، كلما أعيته مشكلة من مشاكل الحياة المقددة . ولعل من هذا القبيل ما ساقه الأستاذ اسماعيل مظهر في الرسالة على لسان شيخه عمران الذي استأثر القدر بابنه (أسامة) . أما المشكلة التي تكمن من وراء ثورة هذا الشيخ على الحياة ، فهي مشكلة (الموت) ؛ والموت هو الحقيقة القاسية التي يتحطم على صخرتها كل تفاؤل للإنسان . ولكن الموت - مع ذلك - ليس هو المشكلة التي يجب أن تستثير دهشة المرء ، وإنما المشكلة هي (الولادة) : naissance . فكما يقول الفيلسوف سان مارتان Saint-Martin : (لقد رأيت أن البشر يعجبون لأنهم يموتون ، ولكنهم لا يعجبون مطلقاً لأنهم يولدون ؛ مع أن هذا هو في الواقع ما يستحق الدهشة والإعجاب) (١)

وعلى الرغم من أن (الموت) كثيراً ما يُنظر إليه باعتباره لغز الحياة المقدد ، إلا أنه في حقيقة الأمر ليس مشكلة تستبهم

(١) المشكلة الحقيقية : Le Problème morale ، الفصل الرابع ،

على الباحث المتدبر . وقد فطن إلى ذلك ابن سينا فكتب رسالة سماها (الشفاء من خوف الموت) وفيها يحل مشكلة الموت بأن يقول : (كل كائن لا محالة فاسد ، فمن أحب أن لا يفسد فقد أحب أن لا يكون ، ومن أحب أن لا يكون فقد أحب فساد نفسه ، وكأنه يحب أن يفسد ويحب أن لا يفسد ، ويجب أن يكون ويجب أن لا يكون ، وهذا محال لا ينظر به بالعاقل . وأيضاً فلو جاز أن يبقى الإنسان لبقى من كان قبلنا ، ولو بقي الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا ، لما وسعهم الأرض ، وأنت تتبين ذلك مما نقول : قدر أن رجلاً واحداً ممن كان منذ أربعمائة سنة موجود الآن ، وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن تحصي أولاده الموجودون ، كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وله أولاده ولأولاده أولاد ، وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم أحد ، ثم احسب مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا ، فإنك تجد أكثر من عشرة آلاف رجل . واحسب كل من في ذلك العصر عائشاً على بسيط الأرض شرقها وغربها ، مثل هذا الحساب ، فإنهم إذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدداً ؛ ثم امسح بسيط الأرض فانه محدود معروف الساحة ، لتعلم أن الأرض حينئذ لا تسعهم قياماً ومتراصين ، فكيف قوموا متصرفين ، ولا يبقى موضع لمارة بفضل عنهم ، ولا مكان لزراعة ، ولا مسير لأحد ، ولا حركة فضلاً عن غيرها ؛ وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف إذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة . وهذه حالة من يشتهي الحياة الأبدية ويكره الموت ويظن أن ذلك ممكن من الجهل والغباء . فإذا الحكمة الإلهية البائنة والعدل المبسوط بالتقدير الحكم هو الصواب الذي لا معدل عنه ، وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية » اهـ

قالوت إذن ليس مشكلة إلا إذا حكنا عقلنا الفردي ؛ ولكننا إذا وسعنا أفق نظرنا ، فإننا نرى أن الموت ضرورة تقتضيها سنة الحياة نفسها ، وإذا ارتضى الإنسان الحياة ، فلا بد أن يرتضى الموت أيضاً ... وهكذا تتحول المشكلة من مشكلة خاصة بالموت ، إلى مشكلة خاصة بالحياة ، وهنا يحق للمرء أن يتساءل : هل لمشكلة الحياة من حل ؟ !

« الحكيم رليلى » الأستاذ توفيق حسن الشرتونى

قصة تحليلية تعالج كثيراً من المشكلات الاجتماعية . وإذا كان صاحبها الأستاذ توفيق حسن الشرتونى مجهولاً في مصر فإن أسرته خدمت العربية في المعجم النفيس « أقرب الموارد » الذى جمعه الشيخ سعيد الشرتونى

وعجيب جداً أن يكون للأستاذ توفيق الشرتونى أربعة كتب لم تذكرها صفحات النقد في مصر بكلمة واحدة . أولها ذكرتها وغاب عنا زمانها ومكانها . ولكن هذه الظروف السعيدة بين لبنان ومصر قد حملت إلينا الأستاذ « توفيقاً » وحملت معه كتبه

في نظرات هذا الكاتب المفكر وميض قوى الشماع ؛ ولذا تجد أفكاره دائماً مومضة مشعة . وتفكيره العميق يبدو في حديثه كما يبدو في كتابته . فهو لا يرى الكلمة عفواً ، ولا يرسلها كما تكون ؛ ولكنه يزنها ويقدر لها مكانها بجانب أختها . ولهذا لا تجد في عباراته تزويقاً أو تنميقاً ؛ ولكنها عبارات تمتاز بالوضوح وعدم الإسراف في القول والمبالاة فيه .

وهو حكيم في نظراته إلى الأمور ، يبصرها من زوايا متعددة لا من زاوية واحدة . ولهذا تجد الحوار في هذه القصة حوار الحكيم لا حوار القاص . والمؤلف نفسه « حكيم » هذه القصة المؤثرة ؛ فهو ينشئ إلى بيت البطلتين ليلى وسلى ؛ ويخلو إليهما خلوة الحكيم لا خلوة الماشق . وتراه ينشئ كل ناد ، ويرناد كل صرناذ ، ويخالط الناس في كل ضرب من الأرض . وفي خلال ذلك بيت آراءه وينشر تعاليمه ، لا ييأس من إصلاح ، ولا يقنط من موعظة ؛ لأنه يريد أن ينشئ « ليلى » مما تورطت فيه . و « ليلى » فتاة تزوجت من شاب غنى انحرف عن الجادة ، وجار عن السبيل ، وأفسده الفهار وألحار ... فأهمل حق زوجته وواجب أولاده . فرأت الزوجة البائسة أن تنقم منه فانتقم من نفسها ... فأهملت بيتها وتركت أولادها ، وشغلت بشاب آخر على نصيب من المال والجمال وقوة المضلات ...

وهنا تزور « سلى » جارة « ليلى » الحكيم وتقص عليه من حوادث جارتها المنحرفة ما يكون سلسلة من الفجائع ... فقد مات ولداها ومات زوجها أشنع ميتة ... وهي لا تزال ممثلة في نوازع هواها وتزغات شيطانها ... ولا تزال الأيام ترميها بكل داهية حتى خولطت في عقلها

والأستاذ توفيق « الحكيم » ... اللبناني لا « توفيق الحكيم المصرى » مخلص للأدب ، مخلص للإنسانية . ففي كتابته نزعات نبيلة تطفر من بين سطوره طغراً . وهو صادق في فنه لأنه يمتد (أن الصدق في القول والعمل هو جوهر الأدب الصافي في هذا السكون) وهو فوق ذلك كثير المطف على الإنسانية ؛ كثير الإشفاق عليها ؛ كثير الرجاء في صلاحها . وقصة « الحكيم رليلى » محاولة في سبيل هذا الإصلاح .

محمد عبد الفتى حسن

من الشعر المفصى لمؤلف

في سنة ١٩٠٢ أصدرت مطبعة هندية كتاباً ألفه محمد حافظ صبرى من رجال القضاء المصرى - ولا أدري أين هو الآن - وهذا الكتاب تحت عنوان : « المقارنات والمقابلات بين الأحكام والعاملات والحدود في شرع اليهود ونظائرها من الشريعة الإسلامية النراء ، ومن القانون المصرى والقوانين الوضعية الأخرى » . وقد قرظ هذا الكتاب شاعر النيل المرحوم حافظ بك إبراهيم بقصيدة أثبتت في آخره ، ومع ذلك لم تذكر هذه القصيدة في ديوان حافظ الذى طبعته وزارة المعارف ، بينما ذكرت فيه (التفريظات) في الجزء الأول من صفحة ١٤٨ إلى صفحة ١٥٨ ؛ وهما هي ذى القصيدة :

أشرع العقل أم شرع الحكيم أرى في ذلك السفر العظيم ؟
قرأت سطوره فلمحت فيها برغم القسوم تنزيل الحكيم
هو وضموا لهم شرعاً جديداً فناد بهم إلى الشرع التويم
ولولا هدى أحمد بمقد موسى لما ساروا على النهج القديم
كذلك إذا النهى بلغت مداها هدتك إلى الصراط المستقيم
أحافظ قد وضعت لنا كتاباً جمعت بصلبه شمل العلوم
وأودعت النصوص به فكانت نصوص الدر في العقد العظيم
وأبرزت الشرائع في حلاها فمن آى ، ومن قول كريم
ومن نص إلى « التلود » يعزى ومن قول « مولون » الحكيم
كجريت عن النهي والدين خيراً روقيت المداء من الخصوم
فلعل الذين قاموا على جمع هذا الديوان وطبعه يلتفتون إلى إثبات هذه القطعة في الطبعة الجديدة للديوان .

أحمد الصبرياوى

(سكية الفنة العربية)